Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, 2024

Deanship of Scientific Research

The Contextual Spaces of the Arabic Nouns *Alfi'il, Al'amal* and *AlSun'* in the Holy Quran: Implications and Uses

Saad A. Meqdad [*], ***Mohammad O. Abu-Rahme***, ***Sayel H. Al-Hawawsheh***, ***Ahmed Suleiman Alrkep***

Department of Basic Sciences / Humanities, Faculty of Arts & Science, Applied Science Private University, Amman, Jordan.

Received: 5/3/2022
Revised: 27/5/2023
Accepted: 19/6/2023
Published: 30/5/2024

[*] *Corresponding author:*
s_meq75@yahoo.com

Citation: Meqdad , S. A. ., Abu-Rahme, M. O., Al-Hawawsheh, S. H. ., & Alrkep, A. S. . (2024). The Contextual Spaces of the Arabic Nouns Alfi'il, Al'amal and AlSun' in the Holy Quran: Implications and Uses. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 525–537. https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.4328

Abstract

Objectives: The present study investigates the semantic differences between three Arabic words *Alfi'il, Al'amal* and *AlSun'* translating to (verb, action, and creation) and their conjugations in the Holy Quran based on the contextual spaces they operate within. It attempts to discover the impact of each word's presence in guiding the meaning.

Methods: The study relies on a descriptive-analytical methodology. It presents the lexical and idiomatic differences of the studied words and then examines several Quranic contexts in which those words appeared which are thoroughly analyzed. This is done based on major dictionaries and linguistic and exegesis references.

Results: The study revealed a clear variation in the semantic function when using the words *Alfi'il, Al'amal* and *AlSun'* in the Holy Quran. The word "*Alfi'il*" (verb) and its conjugations mostly appear in conjunction with rational beings and rarely with non-rational beings. In the contexts where it appears with non-rational beings, it is metaphorically attributed with the status of a rational being. On the other hand, the meaning of the word "*Al'amal*" (action) and its conjugations is directed towards the purposes of moderation, temporal extension, intellectual engagement, and management. As for the word "*AlSun'*" (creation) and its conjugations, they are specifically associated with the notions of mastery and excellence, representing the highest level of action.

Conclusion: The study concludes that *alfi'il* is a general term and, *al'amal* is more specific, while *alSun'* is the most specific and requires more precision. It is also concluded that each context needs only one of these to convey a particular meaning which the others cannot indicate.

Keywords: Contextual spaces, verb, action, creation, semantics.

الفضاءات السياقية لألفاظ الفِعْل والعَمَل والصُّنْع في القرآن الكريم: دراسة في الدلالة والاستعمال

سعد عبدالله مقداد*، محمد عمر أبو رحمة، صايل هزاع الهواوشة، أحمد سليمان الركب

قسم العلوم الأساسية الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمّان، الأردن

ملخّص

الأهداف: تدور اللفظة في فضاءٍ سياقيٍّ ضمن مسارٍ مُحكَمٍ لا تَحيدُ عنه، وينسحب هذا الحال على جميع الألفاظ في أثناء دورانها في مساراتها السياقية التي تموضعت فيها. ولذا تتوجّه دلالة تلكم اللفظة نحو مقصدية محدّدة لا يحسنُ لأيّ لفظٍ آخر، وإن بدا قريب المعنى، أن يتزل مكان تلك اللفظة لِما بينهما من فرق جوهريّ دقيق يحتّم لزوم بقاء كلّ لفظةٍ في مسارها دون قدرة على التنقل أو الانحراف. تهدف هذه الدراسة إلى استظهار الفروق الدلالية لألفاظ (**الفعل والعمل والصنع**) وتصريفاتها في القرآن الكريم تبعًا للفضاءات السياقية التي تسير في أفلاكها؛ محاولة اكتشاف أثر حضور كلّ لفظة في توجيه المعنى.

المنهجية: اتّكأت الدراسة على منهج وصفيّ تحليليّ؛ يعرض للفروق اللغوية والاصطلاحية للألفاظ المدروسة، ثمَّ يقف على عدد من المواضع القرآنية التي حضرت فيها تلك الألفاظ بالنظر والتحليل والخلوص إلى النتائج؛ استنادًا إلى بعض المظانّ المعجمية واللغوية وكتب التفسير وغيرها.

النتائج: أظهرت الدراسة تباين الوظيفة الدلالية في أثناء استعمال ألفاظ (**الفعل والعمل والصنع**) في القرآن الكريم تباينًا واضحًا. فقد جاءت لفظة (**الفعل**) وتصريفاتها في القرآن الكريم غالبًا مع العقلاء، وقلّما جاءت مع غير العقلاء، وفي المواضع التي جاءت فيها مع غير العقلاء كان يُنزَّل منزلة العاقل مجازًا، بينما توجهت دلالة لفظة (**العمل**) وتصريفاتها نحو مقصد التروي والامتداد الزمني وإعمال الفكر والتدبير. أمّا لفظة (**الصنع**) وتصريفاتها فقد اختصّت بالدلالة على الإتقان والإجادة، فهو أعلى مرتبة من العمل.

الخلاصة: خلُصت الدراسة إلى أن السياق القرآني كشف عن توجُّه دلالة لفظة (**الفعل**) وتصريفاتها نحو معنى العموم، وتوجُّه دلالة لفظة (**العمل**) وتصريفاتها نحو الخصوص، أمّا لفظة (**الصنع**) فهي أخصُّ منهما جميعًا وتحتاج إلى إجادة وإتقان وحذق.

الكلمات الدّالة: الفضاءات السياقية، الفعل، العمل، الصنع، الدلالة.

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مدخل:

ينطلق البحث من رؤية كليّة للخطاب القرآني مفادها تفرّد نظمه المعجز واتساق اختياراته الأسلوبية مع موضوعاته وغاياته ومقاصد نزوله، وشأنه دقة اختيار الألفاظ والأساليب المتّسقة في انتظامها، والمنسجمة في سياقاتها، و" حين يكون هناك تناسب لفظي بين الآية وسياقها يكون في الوقت نفسه تناسب معنوي وهذا ما لا نلمحه أحيانا، وما لا نستطيع إدراكه إلا بمزيد من التأمل وإعمال الحس النبيه، وهذا لا يتوفر إلا لمن حظي بالتوفيق والتسديد" (عبود، 2003). وتلحّ هذه الدقة على الدارس تأمّل التفاعل النصي الذي يربط الألفاظ بمقام ورودها، " فيتحرك السياق حركة إيجابية مع تفاعله معها، وعلى الناقد ملاحظة ذلك الأمر" (الزهرة،1997).

وتقتضي ملاحظة الباحث الوقوف عند الفائدة والحكمة من اختصاص الألفاظ في سياقاتها بمعايير التحليل الأسلوبي، فإذا " أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية في لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيّر فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى، فلا بدّ من حكمة هناك تطلب. فإذا أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها، فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم" (الإسكافي، 1979).

ونظرًا لخاصية الاختيار الأسلوبي التي تُميّز الخطاب القرآني في تفرد الألفاظ المستعملة وفقا لمتطلبات سياقاتها بالشيوع النسبي الدقيق، فإنّ لطافة التماسك النصيّ القرآني تظهر في قيم التفرد للمثيرات اللغوية بتأثيراتها الجمالية والدلالية، وبالتعبيرات الكامنة في الألفاظ محل الاختيار التي تجمع بين قدرة المعنى على الحضور ومناسبة الإيقاع الحاصل في كليّة الخطاب النصي، " بل غدت النصيّة ضرورة لغوية لا يمكن تجاوزها لتحقيق الوحدة الشاملة للنص وذلك بالاعتماد على الوسائل اللغوية التي يتوجب الاستعانة بها لإنتاج عملية التشابك المستمر والانسجام والتماسك"(بوهادي، 2013)، الذي يسوغ انشغال المقام السياقي باللفظة دون مثيلاتها اللغوية، فيضيق النص عن استيعاب مرادفاتها، وبمعايير الكثرة والشيوع أو الندرة تتحقق الكفاية الأسلوبية للنص القرآني المقدس بمعدلات الاختيار للعناصر اللغوية بوصفها منظومة ممتدة من البيان بخصوصية المراد من السياق القرآني الذي لا يقدمه خيار آخر من خيارات التعبير اللفظية المتاحة التي تقبلها اللغة، وذلك لأن " الأسلوب تضمُّن، وهذا يعني أن كل سمة لغوية تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية معينة، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف"(مصلوح، 1992). فيتفاجأ المتلقي بالقدرة التأثيرية لأسلوب الاختيار القرآني المتميز والمتفرد للألفاظ في سياقاتها، و" الأسلوب في حقيقته ينشأ عن طريق الظهور المفاجئ للعناصر اللغوية " (بيوشل، 2000). وقراءة الباحث الناقد المعتمدة على الأصول اللسانية تبحث في الكشف عن بؤرة النص التي تربط الأجزاء بعموم موضوع السياق، ويتحدد الترابط النصي بانسجام البنى التعبيرية واتساقها في وحدة لغوية خطابية، تظهر إبداعية النص فيه وتعالق مكوناته بأثر من اختياراته الأسلوبية المفاجئة كالحذف أو الزيادة أو الانزياح أو التخصيص الذي يحمل بدلالة إيقاعه الداخلي والخارجي مقاصد النص ومراده، ويرى ريفتير " أن التأثير الأسلوبي هو محصلة حقيقية ناتجة عن مفاجأة المتلقي باستعمال وسائل أسلوبية لا يتوقعها "(Riffaterre,1973).

ولما كانت الألفاظ مفاتيح النصوص للولوج إلى مراد النص وفهم السياق وتحليل العلاقات الأسلوبية التي تميز النص عن غيره، أولى الباحثون اللفظة وورودها ودورانها وانتشارها وصورة حضورها في السياقات العديدة اهتماما بالغًا، و"الكلمات المفردة تحظى بنصيب وافر من اهتمام الباحثين في الأسلوب باعتبار أنها أظهر المتغيرات، وأيسرها تناولًا بالعدّ والإحصاء والتصنيف من حيث الصيغ الصرفية والخصائص الدلالية " (جبر، 1988).

وقد انصرف الجهد إلى استكناه حقيقة الفعالية الدلالية لورود ألفاظ (**العمل والفعل والصنع**) في سياقاتها القرآنية المعجزة التي تشير إلى الملامح التعبيرية المؤدية لوظيفتها الدلالية التي تتجاوز وجودها اللغوي المعجمي؛ وذلك للكشف عن علاقتها بدلالة النص الذي وردت فيه، بتأويل من أفق النص القرآني لا يخرج عنه بوصفه نظمًا فريدًا لا تعتريه فرضيات التجديد أو التحريف أو التغيير.

وإذا كانت غاية البحث الكشف عن ارتباط السياقات بألفاظها ارتباطًا عضويًا، فإنّ إجراءاته تعتمد مقاييس الدقة والشمول، اختصاص هذه الألفاظ بوصفها علامات لغوية إشارية تحمل في كنهها قيم وجودها النصي الغالب انتشارا أو ندرة وفقًا لمتطلبات السياق، ولعل ما يساعدنا في فهم ملامح التعبير بهذه الألفاظ اختصاصًا نسبة الورود استعمالًا متعلقًا ببؤرة النص الذي يميز اللفظة عن نظائرها اللغوية بالملاحظة الحدسية للتشاكلات والتباينات والتضايف لفاعلية اللفظة وخواصها الأسلوبية التي تخضع للمراجعة المستفيضة لإجراءات التحليل القائم والمستند إلى الأدوات العلمية والمنهجية التي تتجاوز النظر الانطباعي للغة النص بهدف اختبار الفرضيات التي تطرحها الدراسة، وينحو فيها البحث إلى توصيف نصي دقيق يحدد هوية اللفظة وقيمتها الجوهرية في سياقها النصي.

وباستقراء ما يمكن أن يعدَّ صنفًا من صنوف الدراسات السابقة؛ وقف الباحثون على دراسة بعنوان: الفعل والعمل في القرآن الكريم: دراسة دلالية، أعدّها نايل أبو زيد من قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة، وهي بحث منشور في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات سنة 2002، وقد عالجت الدراسة أثر استعمال لفظتي (الفعل والعمل) في القرآن الكريم، مبيّنةً انعدام وجود ترادف بين الألفاظ المتقاربة في المعنى؛ نظرًا لوجود فروق دلالية دقيقة بينها؛ هذا الاختصاص في الدراسة استدعى الباحثين إلى مزيد نظرٍ في الفروق الدلالية بين ألفاظ (الفعل والعمل والصنع كذلك) محاولين الكشف عن وجود تفاوتٍ ترتيبيّ في مراحل تلك الأداءات أو السلوكات تبعًا للفضاءات السياقية التي تموضعت فيها، ورغم بعض التقاطعات مع ما ورد في تلك الدراسة إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من مزيدِ بحثٍ وتبحّرٍ في ما قد تظهره تلك التمثلات اللفظية المختلفة.

وقد انشغل صاحب الدراسة بإثبات عدم وجود الترادف بين لفظتي الفعل والعمل؛ ولذلك قسّم أصحاب المعاجم إلى قسمين، قسم من يرى أنهما من الألفاظ المترادفة، وقسم يرى وجود اختلاف بينهما. ولعلّ أصحاب المعاجم ليس هذا الامر من شأنهم؛ فهم يبحثون عن بيان معاني المفردات وليس إيجاد الفروق بينها، فهذا من عمل الدلاليين والمفسرين.

ومن مواطن اختلاف هذه الدراسة عن تلك أنّ هذه الدراسة بنت على فكرة القصدية وعدمها والعموم والخصوص التي ذكرها القدماء لتقسيم السياقات والفضاءات التي دارت فيها تلك الكلمات. أما الدراسة المذكورة فقد حاولت التفريق بين اللفظتين بعرض مجموعة من الملاحظات في كلّ مبحث من مباحث الدراسة، وقامت تلك الملاحظات على إحصاءات مختلفة.

وقد توزّعت بعض المقالات هنا وهناك على الشابكة تومئ إلى بعضِ الإشارات المتصلة بموضوع دراستنا غير أنها لم تزِد على ما أورده علماء اللغة القدامى وبعض المفسّرين للقرآن الكريم، وكانت محاولاتٍ متواضعة لإبراز الفكرة دون العمق في التفاصيل؛ ومنها: مقال بعنوان ما الفرق بين الفعل والعمل في القرآن الكريم؟ لأحمد خلف، ومقال آخر بعنوان الفرق بين العمل والفعل والصنع لشيماء الزناتي، 2021، ومقال بعنوان: يصنعون، يعملون، يفعلون، تعريفها، والفرق بينها في التعبير القرآني، كتبه عدنان الغامدي، وغيرها من المقالات المبثوثة على الشابكة التي نظر الباحثون فيها ووقفوا على مضامينها للإفادة منها والإضافة عليها عبر طرائق وأدوات أسلوبية مختلفة. وعلى كلّ حال سترتكز دراستنا هذه على الفضاء السياقيّ لورود تلكم الألفاظ وأثره في لزوم حضور لفظة دون غيرها مهما بدا التقارب بينها في المعنى، إذ سيفصل البحث في الأمر وينتهي إلى نتائج مرضية – بإذن الله -.

ألفاظ العمل والفعل والصنع، لغة واصطلاحًا

تتباين دلالات كثير من الألفاظ التي تبدو لأول وهلةٍ أنها ذات مقصدية واحدة، وتتحدد معالم ذلك التباين وفاقًا للسياقات التي تتموضع فيه تلكم الألفاظ؛ ومن ذلك ما نراه في ألفاظ مثل (**الفعل، والعمل، والصنع**)، وللوقوف على ملامح ذلك التباين لابدّ من النظر في كتب المعاجم اللغوية أولًا؛ فقد جاء في معنى (**الفعل**): "(فَعَلَ) الْفَاءُ الْعَيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ" (ابن فارس، 1997)، وذهب ابن منظور إلى أنّ (**الفعل**) كناية عن كلّ عمل متعدٍ أو غير متعدٍ.(ابن منظور، د.ت).

أمّا اللفظ (**عَمِلَ**) فـ"الْعَيْنُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ فِعْلٍ يُفْعَلُ." (ابن فارس، 1997)؛ وعليه فإنّ ابن فارس "يرى أنّ الفعل أعمُّ من العمل."(أبو زيد، 2002)، أمّا لفظة (**العمل**) عند ابن منظور فهي دالةٌ على "المهنة والفعل" (ابن منظور، د.ت)؛ فالظاهر لأولّ وهلةٍ أنْ لا فرقَ دلاليًّا لفظة (**فعل**) ولفظة (**عمل**) كما أشار بعض أهل المعاجم؛ إذ يبدو من كلامهم توجه اللفظتين نحو العموم، إلاّ أننا نجد بالنظر الدقيق أن (**الفعل**) إحداث شيءٍ من عمل، وأنّ (**العمل**) يتكوّن من عدد من الأفعال أو لنقل: إنّ الفعل جزءٌ يصنع العملَ ويشكّل صورته النهائية بعد تفاعل عدد من الأفعال المكوّنة لهذا العمل. وعند الوقوف على لفظة أخرى مقاربةٍ لمعنى (**الفعل والعمل**) مثل لفظة (**الصُّنْع**) فإننا نجد أنّ العلماء توجّهوا في دلالتها إلى مقصدية مختلفة؛ يقول ابن فارس: "(**صَنَعَ**) الصَّادُ وَالنُّونُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ عَمَلُ الشَّيْءِ صُنْعًا. وَامْرَأَةٌ صَنَاعٌ وَرَجُلٌ صَنَعٌ، إِذَا كَانَا حَاذِقَيْنِ فِيمَا يَصْنَعَانِهِ."(ابن فارس، 1997)

يتبيّن مما سلف أنّ أصحاب المعاجم لم يفرقوا كثيرًا بين **الفعل والعمل**، لكنهم أدركوا أنّ **الصنع والصناعة** درجة متقدمة على العمل والفعل، فلا يقال صنع أو إحدى مشتقاته أو تصريفاته إلا إذا برع وحذق ما يصنع. وقد يريد ابن منظور، حين قال إنّ الفعل كلّ عمل متعدٍ أو غير متعدٍ، الإشارةَ إلى الأثر في الشيء المفعول او المعمول، فالفعل أعمّ؛ لأنّ أثره قد يظهر في الشيء حقيقةً وقد لا يظهر. أمّا العمل فالأثر يظهر في المعمول. وهذا ما أشار إليه العسكريّ حين بيّن أنّ **العمل** إيجاد الأثر في الشيء؛ يقال فلان يعمل الطين خزفًا ويعمل الخُوص زنبيلا والأديم سقاء، ولا يقال **يفعل** ذلك؛ لأن فعل ذلك الشيء هو إيجاده على ما ذكر هنا، وقال الله تعالى: (واللهُ خلَقَكُمْ وما **تَعْمَلون**) أي خلقكم وخلق ما تؤثّرون فيه بنحتكم إياه أو صَوْفكم له. (العسكري، 1997).

والظاهر أنّ هذا التفريق الذي توصّل إليه أصحاب المعاجم قاد الاصطلاحيين إلى محاولة إيجاد الحدود الدقيقة بين تلكم الألفاظ؛ فذهبوا إلى وصف الصانع الذي يصنع بيديه بالدقيق، وامرأة صناع صانعة رفيقة بعمل اليدين.(العوتبي، 1999).

وذهب الكفويّ إلى أنّ"(**الصِّنَاعَة**): كلّ عِلْمٍ مارَسَه الرجل سَوَاء كانَ استدلاليًّا أَو غَيره حَتَّى صار كالحِرْفَة لَهُ فَإِنَّهُ يُسمّى صناعَة وقيل: كل عمل لا يُسمى صناعَة حَتَّى يتَمَكَّن فِيهِ ويتدرب وينسب إِلَيْهِ، وَقيل: الصَّنْعَة (بِالْفَتْح) الْعَمَل،... والصناعة قد تطلق على مَلَكَةٍ يقتدر بهَا على اسْتِعْمَال المصنوعات على وَجه البصيرة لتَحْصِيل غَرَض من الْأَغْرَاض بِحَسب الْإِمْكَان" (الكفويّ، 1998، والأصفهاني، 1991).

وأمّا **الفِعْل** فهو "التَّأْثِير من جِهَة مُؤَثِّر، وهو عام لما كانَ بإجادة أو غير إجادة، ولما كَانَ بِعلم أَو غير علم، وقصد أَو غير قصد، ولما كانَ من الإِنْسَان والْحَيَوَان والجمادات." (الأصفهاني، 1991)، وينقل الكفويّ في دلالة لفظة (**فعل**) وتحديد مقصديتها رأي الصغاني الذي يقول:" تركيب الفِعْل يدلُّ على إِحْداث شَيْء من العَمَل وغَيره فهَذا يدلُّ على أَن الفِعْل أَعمُّ من العَمَل." (الكفوي، 1998)

وأمّا **العَمَل** فهو " كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العَمَلُ في الحيوانات إلّا في قولهم: البقر العَوَامِلُ، والعَمَلُ يستعمل في الأَعْمَالِ الصالحة

والسّيّئة، قال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ" (الأصفهاني، 1991)، ويوجّه الكفويّ استعمال لفظ **العمل** إلى القول بأنه: "يَعُمُّ أَفعَال القُلوب والجوارح، **وعمل**: لما كانَ مَع امتداد زمان نَحْو: {**يعْملُونَ** لَهُ مَا يَشَاء}، وفَعَلَ: بِخِلَافِهِ نَحْو: {ألم تَرَ كَيفَ **فَعَلَ** رَبك بأصحاب الْفِيل} لِأَنَّهُ إهلاك وَقع من غير بطء، والعَمَل لا يُقَال إِلَّا فِيما كانَ عَن فكر وروية، ولِهذا قرن بِالْعلمِ حَتَّى قالَ بعض الأدباء: قُلِبَ لفظ العَمَل عَن لفظ الْعلم؛ تَنْبِيهًا على أَنه من مُقْتَضاهُ.." (الكفوي، 1998).

وبالنظر الدقيق في دلالة لفظتي (**الفعل والعمل**) تبدو ملامح افتراق دلالي بينهما يتمثّل في توجّه دلالة (**الفعل**) نحو معنى العموم، أمّا لفظة (**العمل**) فتتجه نحو الخصوص، و(**الفعل**) يُنْسب للعاقل وغيره، أمّا (**العمل**) فقلما يُنْسب لغير العاقل؛ وإن استخدم لغير العاقل فإنه يأتي من باب المجاز، نحو تعمل معظم السيارات في العالم حاليًا بوساطة محركات الاحتراق الداخلي التي تستخدم البنزين أو الديزل. وقد ورد في المعجم الاشتقاقي المؤصّل أنّ (**العمل**) قد يكون عامًّا؛ يشمل الحيّ والجماد، نحو: (عَمَلُ البرق)...(جبل، 2010)، وبالنظر بدا أنّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظة (**عمل**) وتصريفاتها مع غير العاقل في حين استعملت لفظة (**فعل**) وتصريفاتها مع غير العاقل، نحو قوله تعالى:" قال بل **فعلَه** كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون" (الأنبياء، 63) وقوله تعالى:" هل من شركائكم مَنْ **يفعلُ** من ذلكم من شيء" (الروم، 40)

وعليه، نخلص إلى أنّ:

الصنع أخصها (للعقلاء حصرًا)

العمل أخصُّ من الفعل (للعقلاء)، وقد يأتي مجازًا لغير العاقل قليلًا

الفعل عامٌّ (لجميع المخلوقات)

لعلّ ذلك التباين في استعمال كلّ لفظة بما ينسجم وضرورة قدرتها على التموضع ضمن السياق القائم أشار إليه الراغب حين جعل هذه الألفاظ درجات؛ فالصنع أخص المعاني الثلاثة، والفعل أعمّها، والعمل أوسطها. فكلّ صنع عمل، وليس كلُّ عمل صنعًا، وكلُّ عمل فعل، وليس كلُّ **فعل عملًا**" (الراغب، 1991).

وينسجم مع الكلام السابق ما ذكره السامرائي في إحدى محاضراته عبر إحدى الفضائيات المرئية حينما سئل عن الفرق بين (**يعملون**) و(**يفعلون**) و(**يصنعون**) وما دلالتها في القرآن الكريم؟ فأجاب بأنّ:" **يفعلون**: الفعل قد يكون بغير قصد ويصلح أن يقع من الحيوان أو الجماد. قال تعالى:(ولو أَنَّهُمْ **فَعَلوا** ما يُوعَظُونَ بِهِ) وقال تعالى: (يَا أَبَتِ **افْعَلْ** ما تُؤْمَرُ)، أمّا **يعملون** ففي الأكثر فيه قصد وهذا مختص بالإنسان. قال تعالى:(فأمّا الّسفينَةُ فكانَتْ لِمَساكينَ **يَعْمَلونَ** في البَحْرِ)، وأمّا **يصنعون** فالصنع هو أخص ويحتاج إلى دقة. قال تعالى: (**صُنْعَ** اللهِ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)؛ لأن الفعل عام والعمل أخص منه والصنع أخص ويحتاج إلى دقة." (السامرائي، د.ت)

هذه الألفاظ المختلفة استدعت البحث والمدارسة في محاولة لاستظهار تباين دلاليّ محتمل بينها، و"إذ تفتح مجالات دلالية تتحرك في سياقها مجسدة إبلاغيتها." (عنبر، 2009)، ولا يتحقق هذا الأمر إلّا بالنظر في تمثلات تلكم الألفاظ في سياقاتها المختلفة؛ خاصّة السياقات القرآنية. ولعلّ مردَّ اختيار ألفاظ (**الفعل، والعمل، والصنع**) أمثلة للمدارسة، هو ما نلمسه لأولّ وهلةٍ من اشتراكها جميعًا في دلالة واحدة، غير أنّ التبصر في الأمر يومئ بإمكانية وجود تباين جوهريٍّ مهمٍّ بينها؛ استدعى السياق حضور لفظة دون أخرى، بل استحالة أن تحلّ لفظة منها مكان نظيرتها. فحضرت اللفظة القرآنية سمة لغوية منسجمة ومتسقة مع سياقها حقق للنص تكامله الأسلوبي وإيقاعه الخاص و" نعني بالاتساق: مجموعة القواعد الشكلية التي تربط العناصر اللغوية.... ونعني بالانسجام: التآلف الشامل بين مركبات النص الدلالية والشكلية والتقارب بينها"(فارس،2010). واستجلاءً لهذا الأمر سنقف على طائفة من الآيات المتضمنة لهذه الاستعمالات ضمن سياقات متعددة في القرآن الكريم ونتدارسها وصولًا إلى نتائج ذات وجاهة وقبول.

أوّلًا: فضاءات اللفظ (فَعَلَ) وتصريفاته في القرآن الكريم.

تصدُر الأفعال عامةً نتيجة دافعٍ معيّن يستدعي إبراز سلوكٍ عمليٍّ أو القيام بجهدٍ ما يعبّر عن حالةٍ أو فكرةٍ، وقد ينتهي هذا السلوك ليصبح عملًا متقنًا كامل الأركان مرتَّبًا واضح المعالم، أو ربما يحدث فجأةً دون استعداد أو تهيئة لينتهي سريعًا بلا نظام يحكمه. ويعضدُ هذا الرأي ما ذكره الكفويّ سابقًا.

وبمدارسة طائفة من الآيات التي وردت فيها ألفاظ الفعل نلحظُ تنوعًا في أنماط ورود هذه **الأفعال** حسب سياقاتها؛ إذ جاءت بعضها معبّرة عن أفعال عشوائية بلا ترتيب ولا تنظيم، تحصل فجأة ردًّا على موقف أو مثير ما، وبعضها كشف أنّ هذا الفعل سلوك يؤدّي إلى عملٍ أو صناعة متقنة. وتوضيحًا للمشهد نشرعُ بما يأتي:

أولًا - تأتي في سياق **الأفعال السريعة التي لا تحتاج إلى طول تدبُّرولا إلى وقت طويل في إنجازها، وتتطلب قوة**(ياسوف، 1999)؛ ولذلك جاءت كلّ

الأفعال الصادرة من الله عز وجلّ، ومن الملائكة، في سياق السرعة والقوة في إحداث الأفعال؛ فالله عزّ وجلّ إذا أراد شيئًا يقول له كن فيكون، ويكون قويًّا مهلكًا أو محقّقًا على الوجه الذي أراده الله. وثمة مواضع جاءت في سياق العقوبة والإهلاك، نحو قوله تعالى في:"وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ **فَعَلْنَا** بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ" إبراهيم45. وقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ **فَعَلَ** رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7)" (الفجر،.6-7)، وقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ **فَعَلَ** رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ" (الفيل،1). ومواضع أخرى لبيان قدرة الله على فعل ما يريد نحو قوله تعالى: "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" (البقرة، 253)، وقوله تعالى: "قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ" (آل عمران، 40)، وقوله تعالى: " وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا" (النساء، 47). وقوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ" (هود،107). وهذا يناسبه السرعة التي تحملها لفظة (**الفعل**) وتصريفاتها؛ فكما تقرر سابقًا العمل والصنع يحتاجان إلى وقت وتدبير.

وينطبق ذلك على فعل الملائكة؛ فهم ينفذون أمر الله، كما في قوله تعالى: "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ **وَيَفْعَلُونَ** مَا يُؤْمَرُونَ" (النحل،50). وقوله تعالى: "**وَيَفْعَلُونَ** مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم،6)، ويستثنى من ذلك قوله تعالى في وصف الملائكة:"لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ **يَعْمَلُونَ**" (الأنبياء، 27). وعند النظر في المواطن الثلاثة تتضح دقة الاختيار في كل موضع؛ فقد قُسّم في سورة الأنبياء فعل الملائكة إلى نوعين: القول والعمل، ولم يكن ذلك في الموضعين الآخرين، فكان لائقًا ومناسبًا في الأنبياء استخدام (**يعملون**)؛ لأنّ الفعل يشمل القول، فلو ذكرت (وهم بأمره **يفعلون**) لكان في ذلك تكرار لا حاجة له، فالقول المتضمن في الفعل ذُكر في صدر الآية "لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ". هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ السياق في الأنبياء لم يكن في قدرة الملائكة على الفعل، بل كان في تكريمهم، فقد سبقت هذه الآية بقوله تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ" (الأنبياء،26). في حين في النحل والتحريم جاءت الآيات في سياق الحديث عن فعل الملائكة (السجود، وخزنة جهنم).

وجاءت أيضا بعض أفعال البشر سواءً أكانت صادرة من البشر جميعًا، أم من الأنبياء والصالحين، أم من المؤمنين، أم من الكفار، أم من فئات محددة– لتدلّ على معنى السرعة المستمدّة من قوة الله كما في طلب إسماعيل من أبيه إبراهيم تنفيذ أمر الله:"قَالَ يَٰٓأَبَتِ **ٱفْعَلْ** مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ" (الصافات، 102)، وفعْل الرجل الصالح في سورة الكهف:"وَمَا **فَعَلْتُهُ** عَنْ أَمْرِي" (الكهف، 82). وقد تكون السرعة التي تنتهي بالتدمير والقتل والإهلاك نحو قيام بني إسرائيل بذبح البقرة؛ قال تعالى: "**فَٱفْعَلُواْ** مَا تُؤْمَرونَ" البقرة68، وقوله: "فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ **يَفْعَلُونَ**" (البقرة، 71). وفعل الملوك في الإفساد والتخريب في قوله تعالى: "قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ **يَفْعَلُونَ**" (النمل،34)، وتحطيم إبراهيم للأصنام، وقتل موسى للقبطي وما فعله إخوة يوسف معه، وكل ذلك لا يحتاج زمنًا لفعله؛ ولهذا لم يكن مناسبًا إيراد كلمة (**عمل**) في هذه المواضع.

وجاءت بعض الأفعال صادرة من الجماد وتمثّل ذلك بما ورد على لسان إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: "قَالَ بَلْ **فَعَلَهُ** كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنْطِقُونَ" (الأنبياء،63)، وفي هذه الآية أنزل إبراهيم الأصنام منزل العقلاء؛ لأنهم كانوا يعبدونهم، وفي ذلك استهزاء بهم، فهم يعلمون أنّه جماد لا يملك لنفسه شيئا فضلًا عن نفع غيره أو ضرّه. وهذا الفعل حدث بسرعة، فالتحطيم لا يأخذ وقتًا طويلًا. ومثله قوله تعالى: "ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن **يَفْعَلُ** مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الروم، 40).

ثمة قاسم مشترك بين الأفعال الواردة في هذا الفضاء، وهو أنّ هذا الافعال كلها تحدث دفعة واحدة دون انقطاع(أبو زيد، 2002)، وفي هذا ملحظ على السرعة التي أشير إليها في عنوان الفضاء خاصة الأفعال التي صدرت من الله في سياق العقوبة والإهلاك، فهي تحدث من غير بطء(الكفوي، 1998)

ويمكن إدراج أفعال الإنفاق والبيع ضمن الأفعال السريعة؛ فقد جاءت مع جميع المواضع في سياق الإنفاق والبيع (**فعل**) ومشتقاتها إلا في موضع واحد في سورة البقرة سيأتي الحديث عنه لاحقًا؛ فقد قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ **فَاعِلُونَ**" (المؤمنون، 4)، وقال تعالى أيضًا:"يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا **تَفْعَلُواْ** مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (البقرة، 215). وكذلك قوله تعالى: "فَإِن لَّمْ **تَفْعَلُواْ** فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن **تَفْعَلُواْ** فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ" (البقرة، 281)، وقوله تعالى: "قَالُواْ يٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَآ أَوْ أَن **نَّفْعَلَ** فِيٓ أَمْوَالِنَا مَا نَشَآءُ إِنَّكَ لأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ" (هود، 87). وقوله تعالى: "يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ" (المنافقون، 9). وقوله تعالى: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا" (النساء، 127).

أمّا في قوله تعالى: " إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا **تَعْمَلُونَ** خَبِيرٌ" (البقرة، 271) فقد استخدم الفعل **تعملون**؛ لأنّ العمل لم يقتصر على الإنفاق وإخراج المال فقط، بل تجاوز الأمر إلى البحث عن الفقراء وإعطائهم المال، وهذا يأخذ وقتًا وجهدًا؛ فناسبه (**تعملون**).

ثانيًا- في سياق العموم، ومما يدلّ على أنّ ألفاظ (**الفعل**) تأتي في سياق العموم، وتأتي ألفاظ (**العمل**) في سياق الخصوص أنّ جميع المواضع التي تنفي الغفلة مطلقًا عن الله بكل ما يصدر من العباد من أفعال وأعمال يُذكر معها (**يعمل أو يعملون**)، ولم تأتِ في أي موضع يفعل أو يفعلون أو إحدى

تصريفاتها، وقد ورد هذا المعنى بنفي الغفلة عن الله بذكر لفظ الجلالة (الله) 7 مرات في القرآن، في قوله تعالى: "وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ" (البقرة، 74، 85، 140، 144، 149) (وآل عمران، 99). ومنها أيضًا قوله تعالى:" وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ" (إبراهيم، 42)، ووردت بلفظ الربّ 3 مرات في قوله تعالى: "وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ" (الأنعام، 132)، وقوله تعالى: "وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ" (هود، 123)، و(النمل، 93). وهذا يشير إلى نفي الغفلة عن الله فيما هو أخصّ وأقلّ، فمن باب أولى يُنفَى عنه سبحانه ما هو أعمّ.

ويتضح معنى العموم في كثير من الأمثلة نحو قوله تعالى: ""وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ **يَفۡعَلُونَ**" (هود، 36). إذ جاءت صيغة يفعلون الدالّة على الاستمرار والتجدّد لتبيّن أنّ قوم نوح جميعًا إلا عدد قليل من أبنائه كانوا يتفننون في ارتكاب المعاصي، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ **وَٱفۡعَلُواْ**ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" (الحج، 77). ففي الآية حثٌّ على فعل الخير أيًا كان دون تحديد. وثمّة مواضع دلّت على العموم كثيرة، ولعلّ في الاكتفاء في ذكر بعضها غناءٌ؛ نحو قوله تعالى: " وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ **فِعۡلَ** ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ" (الأنبياء، 73)، وقوله تعالى: "وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا **يَفۡعَلُونَ**" (الشعراء، 226). وقوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا **تَفۡعَلُونَ**" (الصف، 2). وقوله تعالى: "وَكُلُّ شَيۡءٍ **فَعَلُوهُ** فِي ٱلزُّبُرِ" (القمر، 52). وقوله تعالى: " يَعۡلَمُونَ مَا **تَفۡعَلُونَ**" **(**الانفطار، 12**)**. وقوله تعالى: **"**هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ **يَفۡعَلُونَ**" (المطففين، 36). وقوله تعالى: "وَهُمۡ عَلَىٰ مَا **يَفۡعَلُونَ** بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ" (البروج، 7). وستأتي مقارنة بين مواضع (**فعل**) وتصريفاتها و(**عمل**) وتصريفاتها عند الحديث عن سياقات (**عمل**).

ثالثًا- إذا كان الفعل قولًا حضر الفعل (**يفعلون**)، ويمكن ضمّ هذا المسرب إلى سابقه؛ لأنّ القول يصنف من الأفعال السريعة التي لا تأخذ وقتًا طويلًا، فالتبليغ والدعاء من دون الله يعدّ من القول، وكذلك قوله تعالى: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا" (الكهف، 23). وينسحب ذلك على قوله تعالى: "وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا **تَفۡعَلُونَ**" (النحل،91)، وقوله تعالى أيضًا: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا **يَفۡعَلُونَ**" (النور،41)، وقوله تعالى:"لا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَمَن **يَفۡعَلۡ** ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا" (النساء، 114)، وقوله تعالى:"وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا **فَعَلُوهُ** فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ" (الأنعام، 112). ومنه أيضًا قوله تعالى: "ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ وَمَا **تَفۡعَلُواْ** مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ" (البقرة، 197).

رابعًا- تأتي الأفعال (الصادرة من البشر) لتدلُّ على سلوكات **مفاجئة بلا استعداد أو تهيئة**، وهذا يتوافق مع المعنى المعجمي وما أقرّه الاصطلاحيون حين رأوا أنّ الفعل يحدث بقصد وبغير قصد بخلاف العمل الذي يكون عن قصد. فإذا كانت السلوكات تُؤدّى بلا وعيٍ أو تفكير،ومن باب المحاكاة العمياء فإن اللفظة الأنسب هي الفعل وتصريفاته؛ أو قد يكون الفعل سلوكًا يتغيّا صاحبه التحدّي والعناد للطرف الآخر؛ ومن ذلك ما نراه في قوله تعالى: "وَإِذا **فَعَلُوا** فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ" (الأعراف، 28)، فالفعل يوصف بأنه فاحشة قبل ورود الشرع؛ كأفعال أهل الجاهلية، مثل السجود للتماثيل والحجارة وطلب الشفاعة منها وهي جماد، وغيرها(ابن عاشور، 1997). ولا يختلف هذا المثال عما طلبته امرأة العزيز من يوسف حين قالت: "وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ" (يوسف، 32).

ومنه أيضًا قوله تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا **يَفْعَلُونَ** " (الأنعام، 159). وقوله تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ (78) كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا **يَفْعَلُونَ** (79)" (المائدة، 78-79)، وتجيء لفظة (**الفعل**) في فضاء آخر مقترن بأفعال تصدر عن السفهاء وتكون سببًا في إهلاكهم؛ ويبدو ذلك في مثل قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا **فَعَلَ** السُّفَهَاءُ مِنَّا" (الأعراف، 155). والتعبير بـ (**فعل**) مع وجود معنى السببية في (**بما فعل**) يشير إلى المعنى الملحوظ في (**فعل**) من التسرع والحمق واقتحام المعاصي والكبائر. (الزمخشري، 1997)

وفي فضاء سياقيّ آخر تتوجّه لفظة (**الفعل**) وتصريفاتها نحو إظهار ما ينتج عن المبطلين من سلوكات عامة تصدر منهم فيما يندرج تحت أفعال الباطل والسوء، ومن ذلك ما نلحظه في مثل قوله تعالى: "أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا **فَعَلَ** الْمُبْطِلُونَ" (الأعراف، 173). ويسترعي الانتباه هنا مرة أخرى، ارتباط لفظ " **أتهلكنا** " بلفظ (**فعل**) ولا ريب أن الهلاك المسند بضمير العظمة والجمعية، إنما يكون على طريقة العقوبة الناجزة، واستئصال الشأفة بسرعة وفورية تزلزل النفوس، وتدهش الألباب، كما يلحظ مجيء حرف السببية (**بما**) كرّة أخرى، وعلاقة السببية مطردة كالسيف القاطع، وسريعة كالبرق اللامع. أما المسند إليه (**المبطلون**) فإنهم ارتكبوا جناية تستوجب النكال والعقوبة أشد وأسرع ما تكون؛ فقد أخذوا بالتقليد وعبادة السلف فلم يعملوا عقولهم، وإنما سارعوا إلى الشرك، وهذا ما التفت إليه الزمخشري (الزمخسري، 1997)؛ إذ وبحسب الآية الكريمة فإن الله سبحانه وتعالى "نصب من الأدلة الشاهدة على صحتها العقول، كراهة أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ لم ننبه عليه أَوْ كراهة أن تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ فاقتدينا بهم؛ لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء. كما لا عذر لآبائهم في الشرك- وأدلة التوحيد منصوبة لهم" (الزمخشري، 1997)، ويعضد هذا

المعنى قوله تعالى: "قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ **يَفْعَلُونَ**" (الشعراء، 74)؛ وذلك في سياق إصرار السفهاء من قوم إبراهيم على تقليد الآباء دون أدنى مراجعة لعقولهم، أو على نحو قول ابن كثير: " اعْتَرَفُوا بِأَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا رَأَوْا آبَاءَهُمْ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهرعون" (ابن كثير،1999). وما أقبح ما فعلوا فلقد بلغ بهم التقليد أن عكفوا على أصنامهم ليلهم ونهارهم. (ابن كثير، 1999).

وقريب مما سبق، من حيث المعنى من جهة الهلاك والإهلاك بموجباته السابقة، قوله تعالى: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ **فَعَلَ** الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (النحل، 33)، وقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ **فَعَلَ** الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (النحل، 35).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ لفظ (**يفعلون**) ورد في كثير من الآيات في سياق سلوك المعاصي والمنكرات والسوء من أهل الكفر والضلال، وهم بهذه الأفعال المستمرة إنّما يجتهدون في سلوكها تحدّيًا وعنادًا. معتقدين أنّ أفعالهم هذه خافية على الله تعالى؛ فلا يتناهوْنَ عنها ولا ينصرفون. وربما تصدرُ بعض الأفعال من أحد المسلمين بعفوية أو سهوٍ ويكون هذا الفعل أو السلوك شائنًا ومذمومًا، ولكنه ليس فعلًا دائمًا بل هو حدثٌ مفاجئ بلا نيةٍ أو قصد.

خامسًا- أفعال القلوب والعقول: وهي التي لا تظهر أثرًا في الشيء إلا إذا تحوّل إلى فعل تؤديه الجوارح، فإنّه سيكون عملًا، إلا إذا وقع في أحد السياقات السابقة، طلب السياق حضور لفظة الفعل لا العمل. ومن أفعال القلوب قوله تعالى: "وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا **يَفْعَلُونَ**" (يونس، 36). الظن لا يندرج ضمن العمل؛ لأنها ليست من عمل الجوارح؛ لذلك صنفت مع الأفعال. وكذلك قوله تعالى: "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن **يَفْعَلُ** ذٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا" (البقرة، 85). "وقوله تعالى: "لاَّ يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن **يَفْعَلْ** ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ" (آل عمران، 28). ومنه أيضًا قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن **يَفْعَلْهُ** مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" (الممتحنة، 1).

ولا يدخل في هذا القسم أفعال الله عزّ وجلّ؛ إذ تبيّن سابقًا أنّ لفظة (الفعل) أو تصريفاتها إذا كان فاعلها هو (الله تعالى) دلّت على حدوث الفعل دفعة واحدة وبسرعة دون إبطاء.

وقبل الانتقال إلى لفظة (**العمل**) تجدر الإشارة إلى أنّ بعض الآيات يذكر فيها أفعال تجمع أكثر من دلالة السرعة والقول وغيرها، كما في قوله تعالى:"وَٱلَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن **يَفْعَلْ** ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا" الفرقان68. فالدعاء مع الله إلهًا آخر من أفعال القلوب والقول، والقتل فعل سرعة، والزنا كذلك، ويمكن أن تكون أفعال بلا استعداد وتهيئة أيضًا؛ ولذلك لا يصلح معها إلا لفظة الفعل.

ثانيًا: الفضاءات السياقية للفظ (عَمِلَ) وتصريفاته في القرآن الكريم.

وردت لفظة (**العمل**) في القرآن الكريم بتصريفات عدّة؛ فكان منها الفعل الماضي(عَمِل، عملتْ، عملوا) والفعل المضارع (أَعْمَل، تعمل، تعملون، نعمل، يعمل، يعملون) وفعل الأمر(اعمل، اعملوا) والمصدر(عَمَل) واسم الفاعل(عامِل). هذه التصريفات جاءت ضمن سياقات متنوعة منها:

أولًا: فضاء الأعمال المقصودة التي يعي فاعلها ما يريد، ويجتهد في التخطيط والاجتهاد، ويحتاج إلى علاج ومشقة. (البخاري، 1996)

ولكن لا يلزم من القيام بها الإتقان، فذاك شأن الصنع. وهي تنقسم قسمين، وقبل الشروع ببيانهما يحسن الوقوف على مسألة مهمة؛ وهي أنّ الفعل ليس دائما يراد منه عدم التخطيط والاجتهاد، بل قد يأتي بعد تخطيط واجتهاد؛ لأنه قد تقرّر سابقًا أنّ الفعل يكون بقصد أو بغير قصد، ولكنه إذا جاء (**فعل**) أو أحد تصريفاته في موضع القصدية والاجتهاد فإنّه يحضر في فضاء العموم لا الخصوص، وسيتبيّن ذلك.

القسم الأول: فضاء الأعمال الصالحة المقرونة بالإيمان بالله تعالى؛ وهذا يكاد ينطبق على أكثر الآيات الكريمة، ويبدو ذلك في مثل قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا الذينَ هادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ**عَمِلَ** صالِحًا.." (البقرة، 62). وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ**عَمِلُوا** الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا" (الكهف، 107)، وقوله تعالى: "ومِنْ يقنُتْ منكنَّ للهِ ورسولِهِ و**تعملْ** صالحًا نُؤْتِها أجرَها مرّتيْن.." (الأحزاب، 31).

تتوجّه دلالة (**عمل**) أو تصريفاتها حسب ما أشار إليه العسكريّ آنفًا نحو وجود الأثر في الشيء؛ وبمدارسة بعض الآيات نجد أنّ السياق استدعى نزول لفظة (**العمل**) وتصريفاتها لما فيها من ظهور أثر العمل جليًّا؛ فالإيمان بالله واليوم الآخر يستدعي عملًا دؤوبًا وأثرًا ناصعًا مميّزًا يترجم حقيقة الإيمان ويثبته، ولا نرى أثر أيّ فعلٍ ملموس أو ماديّ بلا عملٍ، فكأنَّ شرط إثبات الإيمان بالله واليوم الآخر هو القيام بعمل مكتمل الأركان بادي الملامح.

ولم تتوجّه دلالة لفظة (**العمل**) في القرآن الكريم نحو اقتران العمل الصالح بالإيمان حسب، بل جاءت ضمن سياقات أُخَرَ؛ كالقيام بأعمالٍ معيّنةٍ معروفةٍ واضحة لا نقص فيها ولا زيادة؛ أعمالٍ مكتملة الأركان سواء أكانت أعمال خيرٍ أم شرٍّ، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى:"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا **تَعْمَلُونَ**" (البقرة، 74). "وما الله بغافل عما تعملون؛ فالمعنى أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم مُحْصٍ لها فهو

يجازيهم بها في الدنيا والآخرة" (الرازي، 1999). وتتحدّد الدلالة بوضوح في استعمال الفعل المضارع (**تعملون**) لتبرهن أنّ هذه الأعمال مستمرة متجدّدة لا تنتهي ما داموا على ما هم عليه. ورغم المداومة على هذه الأعمال والإصرار عليها فإنّ الله خبير بصير بها.

ثانيًا: فضاء الأعمال الصادرة من غير المسلمين، وفاعلي المنكرات والفواحش؛ ويتجلى ذلك في مثل قوله تعالى: "وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كانُوا **يَعْمَلُونَ**" (المائدة، 62)

نقل أبو حيّان في تفسيره عن الزمخشري قوله: " كُلُّ عَامِلٍ لَا يُسَمَّى صَانِعًا، ولَا كُلُّ عَمَلٍ يُسَمَّى صِنَاعَةً حَتَّى يَتَمَكَّنَ فِيهِ وَيَتَدَرَّبَ وَيُنْسَبَ إِلَيْهِ، وَكَانَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ: إِنَّ مُوَاقِعَ الْمَعْصِيَةِ مَعَهُ الشَّهْوَةُ الَّتِي تَدْعُوهُ إِلَيْهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى ارْتِكَابِهَا، وَأَمَّا الَّذِي يَنْهَاهُ فَلَا شَهْوَةَ مَعَهُ فِي فِعْلِ غَيْرِهِ، فَإِذَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْكَارِ كَانَ أَشَدَّ حَالًا مِنَ الْمُوَاقِعِ، (الزمخشري، 1997) وَظَهَرَ بِذَلِكَ الْفَرْقُ بَيْنَ ذَمِّ مُتَعَاطِي الذَّنْبِ، وَبَيْنَ تَارِكِ النَّهْيِ عَنْهُ، حَيْثُ جَعَلَ ذَلِكَ عَمَلًا وهَذَا صِنَاعَةً" (الأندلسي، 1999)، وهذا الحد الفاصل الذي اهتدى إليه أبو حيان بين العمل والصناعة يتضح في قوله تعالى: "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا **تَصْنَعُونَ**" (العنكبوت، 45)، فحين ذكر الله صفة الصلاة التي تجعل منها عملًا متقنًا تثمر كف مؤديها عن الفحشاء والمنكر ذُيّلت الآية بقوله (**يصنعون**).

ثانيًا- دلالة الخصوص نظير العموم الذي تسبح فيه لفظة (**فعل**) وتصريفاته كما سبق، وللاطمئنان إلى هذه النتيجة يحسن النظر في أمثلة متشابهة سياقيًا ولفظيًا، مثل قوله تعالى:"ولا تَكْتُموا الشَّهادَةَ ومَنْ يَكْتُمْهَا فإنَّهُ آثِمٌ قَلْبُه وَاللَّهُ بِمَا **تَعْمَلُونَ** عَلِيمٌ" (البقرة، 283) وقوله تعالى:" وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا **تَفْعَلُونَ**" (الشورى، 25). وتكررت في سورة المجادلة بتقديم (**تعملون**) على (**خبير**): "وَاللَّهُ بِمَا **تَعْمَلُونَ** خَبِيرٌ". (المجادلة، 3،11)

في آية البقرة كان الخطاب موجهًا للمؤمنين في موضوع الدَّيْن، وفي آية المجادلة وردت الآية ثلاث مرات بصيغ مختلفة كلها في خطاب المؤمنين، وفي موضوعات محددة (الظِّهار وفي التَّفَسُّح في المجالس والنجوى والصدقة)؛ لذلك جاءت صيغة (**يعملون**) لائقة بسياق الخصوص، في حين جاءت صيغة (**يفعلون**) في الأمثلة الباقية، وفي سورة الشورى كان السياق عامًّا عن قبول التوبة والعفو عن السيئات.

وقريبًا من ذلك قوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا **تَعْمَلُونَ**" (آل عمران، 98) وقوله تعالى:"وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا **يَفْعَلُونَ**" (يونس، 46).

ففي آية آل عمران كان الخطاب مخصصًا لأهل الكتاب، ثمّ حُدِّد ما يقومون به؛ وهو الكفر بآيات الله. أمّا في آية يونس فإنّ الخطاب كان عامًّا للناس جميعًا؛ فقد سُبِقَت هذه الآية بقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (يونس، 44). ولم يُذكر في السياق أيُّ ذِكر لعمل معين بل كان السياق عامًّا لجميع الناس.

ومما يذكر هنا قوله تعالى: "وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا **تَعْمَلُونَ** بَصِيرٌ" (البقرة، 265)؛ إذ تقرر في فضاءات (**فعل**) أنّ آيات الإنفاق عمومًا لازمها (**فعل وتصريفاته**). لا شكّ في أنّ الناظر في هذه الآية يلمح فيها إشارة إلى الغاية من الإنفاق وهي مرضاة الله وثبيتٌ لإيمانهم، ولو روجعت المواضع التي ذكرت في باب يفعلون لظهر الفرق جليًّا؛ إذ اقتصرت جميع الآيات على فعل الإنفاق مجردًا من الغاية التي حضرت في هذه الآية، والإنفاق من عمل الجوارح التي تدرك بالبصر فاجتمع السببان ليطلبا (**تعملون**) لا (**تفعلون**).

وقبل قفل باب (عمل) وتصريفاته ثمّة ثلاث ملحوظات:

الأولى: من المتشابهات التي تكشف دقة التعبير القرآني، وتعين على استجلاء الفرق بين عمل وفعل قوله تعالى:" أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعٰمًا فَهُمْ لَهَا مٰلِكُونَ" (يس، 71)، وهذا هو الموضع الوحيد الذي استُخدم في (**عمل**) صادرًا من الله عزّ وجلّ. ولا يخفى على المتدبر افتراق هذا السياق عن المواضع الأخرى التي جاء فيها الفعل مع الله؛ إذ يريد الله في هذه الآية بيان إبداعه في خلق الأنعام.. " تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد" (البغوي، 1997) يضاف إلى ذلك أنّ خلق الأنعام يكون بامتداد. (الزركشي، 1957)

الثانية: جميع الآيات التي جاء فيها اسم الله (**البصير**) جاءت معها الفعل(**يعملون**) أو (**تعملون**)، وهذا يدلّ على أنّ الله محيط ببصره بكل أعمال البشر التي تصنعها جوارحهم؛ مما يوحي بأنّ العمل خاصّ بالجوارح. أمّا **الأفعال** فقد تكون أقوالًا وظنونًا وإيمانًا واعتقادًا، وهذه لا يناسبها حضور كلمة (**البصير**)، بل يناسبها (**العليم أو الخبير**).

وكذلك خبير صاحبها الفعل(**يعملون**) أو (**تعملون**) إلا في موضعين في قوله نعالى: قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" (النور، 30). وقوله تعالى: "وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ **صُنْعَ** ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا **تَفْعَلُونَ**" (النمل، 88).

إنّ نظرة عجلى على المواضع التي وردت فيها تصريفات (**فعل**) مع (**علم**) وتصريفاتها، قد بلغ عددها **ستة** مواضع تظهر ارتباط الفعل بالظنّ وبالقول المتمثّل بالتسبيح والقسَم، وقد تبيّن ذلك سابقًا. أمّا في سورة الزمر(70) والشورى(25) والانفطار(12) فإنّ السياقات جاءت عامّة، في حين إذا أُنعمَ

النظر في مواضع التلازم بين **علم وعمل** سيتضح أنها كلها تتحدث في موضوع معين؛ ككتمان الشهادة (البقرة 283)، وما فعله إخوة يوسف (يوسف19)، وفي عبدة الأصنام والشركاء وفضحهم يوم القيامة (النحل 28)، وفي خطاب الأنبياء عليهم السلام (سورة المؤمنون51)، وفي موضوع الاستئذان (النور28)، وفي أكل الذبيحة أو الميتة في قوله تعالى: "لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ"وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ" (الحج، 67-68)، وما فعله أصحاب الأيكة (الشعراء188)، وفي الحديث عن المنافقين (محمد30). أمّا في فصّلت فقد جاءت الآية "وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ" (فصلت،22) في سياق شهادة الجوارح على أصحابها بما عملوا، فناسب ذلك ذكر العمل؛ إذ العمل يكون للجوارح، والفعل عامّ للجوارح وغيرها، كما أنّ السياق في سور (الحجّ والنحل وفصلت) في الجزاء، والأليق بسياق الجزاء ذكر العمل أيضًا، وسيتبيّن ذلك تاليًا.

وقد يقول قائل: ما سبب مجيء **يفعلون** في قوله تعالى: "وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ" (الزمر، 70)، رغم أنها في سياق الجزاء والحساب يوم القيامة؟ إنّ الخطاب في الزمر لم يكن موجهًا أو مقصودًا إلى فئة محددة كما كان في النحل أو الحج أو فصلت، وخير دليل على ذلك أنّ النصَّ القرآنيّ بعد هذه الآية ذكر حال الكافرين في جهنّم وحال المتقين في الجنّة.

الثالثة: تحضر لفظة (**عمل**) أو إحدى تصريفاتها في **سياق الجزاء**، نحو قوله تعالى: "وَبَشِّرِ ٱلَّذِين آمَنُواْ **وَعَمِلُواْ** ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ" (البقرة، 25)، وقوله تعالى: "فَمَن **يَعْمَلْ** مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" (الزلزلة، 7)، مثل ذلك كثير في كتاب الله. وهذا مناسب للخصوص كما سلف، في حين تحضر لفظة (**فعل**) أو إحدى تصريفاتها في غير الجزاء إذا أريد عموم الفعل من قول وعمل وإيمان واعتقاد، نحو قوله تعالى: "وَمَا **يَفْعَلُواْ** مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ" (آل عمران، 115)، وقوله تعالى: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ **فِعْلَ** ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ" (الأنبياء، 73)، وقوله: "يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ **وَٱفْعَلُواْ** ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (الحج، 77).

ويقوّي ذلك أيضًا المصاحبة بين (نبّأ وتصريفاتها) والأفعال الثلاثة، إذ تلازمت(نبّأ) وتصريفاته مع (**عمل**) وتصريفاته في (17) موطن؛ مما ينبئ بأنّ الله سيحاسب عباده على ما قصدوا من أعمال، وأصروا على فعلها،؛ لأن الفعل عام يشمل ما قصد وما لم يقصد، والله لا يحاسب على عدم القصد والخطأ وشبهه والنسيان والإجبار والإكراه والاضطرار، وكلّ ذلك إن حدث فإنّما يندرج في دائرة الفعل لا العمل. ولا ينفكّ هذا التلازم إلا في موضعين، إذ لم تأتِ المصاحبة بين(نبّأ) وتصريفاته وفعل ومشتقاته إلا في موضع واحد في قوله تعالى:" إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ" (الأنعام، 159)، ولا يخفى ما في إشارة هذا الفعل من عدم وعي، وقد سبق بحثها في سياقات (**فعل**). وجاءت في موضع واحد مع (**يصنعون**)، ويتبيّن أنّ المقصودين في آية المائدة هم أحبار اليهود وعلماؤهم.

ثالثًا: الفضاءات السياقية للفظة (صَنَعَ) وتصريفاتها في القرآن الكريم.

حظيت لفظة (**الصُّنْع**) ومشتقاتها وتصريفاتها باستعمال واضح في كثير من آيات الكتاب الحكيم، واقتضت مقامات الآيات حضور تلك اللفظة دون غيرها حضورًا مُحكمًا أصيلًا؛ ولعلّ المدارسة لحضور تلك اللفظة تكشف لنا أسرارًا بيانية ولوازم سياقية مانعة. إنّ" الصنعَ ترتيبُ العمل وإحكامه على ما تقدَّمَ عِلْمٌ به وبما يُوصِلُ إلى المراد منه؛ ولذلك قيل للنجار صانع، ولا يقال للتاجر صانع؛ لأن النجار قد سبق عِلْمُهُ بما يريد عمَلَه من سريرٍ أو باب، وبالأسباب التي توصل إلى المراد من ذلك، والتاجر لا يعلم إذا اتَّجَر أنه يصل إلى ما يريده من الربح أو لا." (العسكري، 1997)

يظهر ممّا ذكره العسكريّ أنّ (**الصنع**) يستدعي علمًا مسبقًا وتحضيرًا واستعدادًا يصحبه إتقانٌ وإحكامٌ لما يُرادُ صنعُهُ أو بناؤه، وإتقان المصنوع (المنتَج) هو ما يميّز الصنع عن العمل، إذ التحضير والاستعداد يشتمل عليه العمل؛ ولذا يلزم الصانع مزيد علمٍ ودرايةٍ مكينة قبل الشروع في تشكيل ما يريد، وهذا الأمر يتطلب قدرةً خارقةً مائزة لا ينازعها أيّ قدرة أخرى؛ وهذا التفرُّد في هذه الأعمال مخصوص بالذات الإلهية حسْب، أمّا عندما يكون الصنع صادرًا عن البشر فإنه يتطلّب مهارةً ودربةً ومِرانًا كافيًا حتى ينتهي هذا الصنع على الصورة التي رسمها صانعها في ذهنه سلفًا. وعليه فإنّنا نجد فرقًا جوهريًّا بين دلالة لفظة (**العَمَل**) ودلالة لفظة (**الصُّنع**) في أنهما لا يشتركان في الامتداد الزمني، فكلاهما يأخذ وقتًا لإنجازه، ويشتركان أيضًا في الاستعداد وبذل الجهد، لكنّ العمل لا يتوجب في نهايته إتقان الصورة النهائية للشيء المراد عمله. أمّا الصنع فهو تشكيل يسير فيه صانعه وَفق خطّة محكمةٍ واضحة المعالم حاضرة النهايات، ولا مجال للتراخي أو الضعف في أيّ مرحلة من مراحله؛ لِما قد تُلحِقه من ضرر في منتهى تلك الصنعة.

وليطمئن العقل لهذه الفرضية لابدّ من استظهار طائفة من الآيات القرآنية التي حضرت فيها لفظة (**الصنع**) أو إحدى مشتقاتها وتصريفاتها ضمن فضاءات سياقية مختلفة، ومن ثمَّ النظر في ما حملته تلكم الألفاظ من دلالات مخصوصة تبعًا للفضاء السياقيّ الذي سبحت فيه. وبمدارسة الآيات التي وردت فيها لفظة الصنع أو تصريفاتها نخلص إلى الفضاءات السياقية الآتية:

1. فضاء الصنع الإلهيّ:

اقتضى الفضاء السياقيّ لبعض الآيات لزوم حضور لفظة (**الصنع**) دون غيرها أو مرادفاتها؛ فتوجّهت مقصدية دلالة لفظة (**الصنع**) في القرآن الكريم نحو تخصيص الفعل بضرورة الإتقان والجودة والحذق؛ وتتمظهر هذه الدلالة في مثل قوله تعالى واصفًا مشهدًا من مشاهد عجيب قدرته وعظمة خلقه: "وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ **صُنْعَ** اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما **تَفْعَلُون**". (النمل، 88)

حضرت لفظة **الصنع** في سياق الآية بحكمة إحكام لمقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب، وقد أجراها سبحانه وَفقًا لمقتضى علمه بفعل العباد لذلك أعقب صنع الله في الآية بقوله: أتقن كل شيء، وإجراؤه لها بما يستوجب على العباد، فهو خبير بما يفعلون(الزمخشري، 1997). وتؤدي دلالة الصنع مطلق الفعل في الآية لتنسجم مع عظيم الأحداث المذكورة من تسيير الجبال، للتدليل على عجيب قدرة الله تعالى في فعله وصنعه " فكأنهم تأولوا الصنع بمعنى مطلق الفعل من غير التزام ما في مادة صنع من معنى التركيب والإيجاد، فإن الإتقان إجادة، والهدم لا يحتاج إلى إتقان" (ابن عاشور، 1997،ص)

2. فضاء الصنع البشري:

- **فضاء صنع البشر(المادي):**

تحركت دلالة لفظة الصنع في مسارين محددين: أولاهما- مسار الإنشاء الحقيقي، وهذا يستوجب توافر الاستعداد والأدوات والتخطيط والتدرج، ويستوجب أيضا أن تكون نهاية ذلك الاستعداد والتخطيط والعمل موصلة إلى الإتقان، كما كان من صنع نوح للسفينة: "**وَٱصْنَعِ** ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ. **وَيَصْنَعُ** ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ" (هود37- 38) وقوله تعالى: "فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ **ٱصْنَعِ** ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا" (المؤمنون، 27).

وكما كان من سحرة فرعون:" وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا **صَنَعُواْ** إِنَّمَا **صَنَعُواْ** كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ" (طه، 69)، وقوله تعالى: "وَعَلَّمْنَاهُ **صَنْعَةَ** لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ" (الأنبياء، 80)، وقوله تعالى: "وَتَتَّخِذُونَ **مَصَانِعَ** لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ" (الشعراء، 129). ويجتهد زعماء الكفر أن يتخذوا مصانع ينتفع منها الخلق طلبا للشهرة، وتنافسًا في الفخر أنّهم يقدم الأفضل فكشف القرآن خبيئتهم، كما في سورة الشعراء من شأن عاد قوله تعالى: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ **مَصَانِعَ** لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129)" (الشعراء، 123-19) (وتتخذون مصانع): مآخذ الماء أو قصور مشيدة أو حصونًا (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) ترجون الخلود فى الدنيا (النسفي، 1998). ولقد ذاع صيت عاد في الحذق والإتقان كما في قوله تعالى في سورة الفجر: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ **فَعَلَ** رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)" (الفجر، 6-8)

وقد أكرم الله داوود عليه السلام فقال سبحانه في سورة الأنبياء"وَعَلَّمْنَاهُ **صَنْعَةَ** لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ" (الأنبياء، 80)، وما أروع صناعة الرجال من أولي العزم من الرسل! وما أحوجنا اليوم إلى صناعة الرجال الصالحين أولي النُّهى والأحلام؟! وهذا ينسجم مع نواميس الخالق المبدع في الكون، كما في قوله تعالى في سورة النمل "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ **صُنْعَ** اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (النمل، 88).

ومثل هذا من دأب الجبابرة والفراعنة ما كان من فرعون وملئه كما في قوله تعالى من سورة الأعراف "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ" (الأعراف، 137)، والصناعة يناسبها في الآية الإتقان والحذق من شأن ما كان عليه فرعون وجماعته من التعمير والبناء وينسجم التعبير بالفعل (**صنع**) على ما يدل عليه الإتقان مع مراد الآية من التدليل على قدرة الله تعالى الذي أنهى كل إتقانهم وصناعتهم و"دَمَّرْنا وخربنا بقدرتنا مَا كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ من القصور والعمارات. وما كانُوا يَعْرِشُونَ من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح مهمان. (البيضاوي، 1997)

فضاء الصنع البشري (المعنوي):

أمّا المسار الثاني فهو العمل الذي يتقنه صاحبه، ويختلف هذا المسار عن سابقه بأنّه لا يُنْتَظَر منه إنتاج شيء مادي كسفينة نوح أو فعل السحرة ودروع داود، بل نتيجته تكون معنوية، فإما أن يكون العمل مصنوعًا وغاية صاحبه الخير وطاعة الله، وهذا تكون عاقبته سعيدة. وإما أن يكون العمل مصنوعًا وغاية صاحبه الشر والتحريف وإضلال الناس عن الحق. ويتمظهر هذا في مثل قوله تعالى:"...لَوْلا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كانُوا **يَصْنَعُونَ**" (المائدة، 63). جاءت مناسبة التوبيخ لعلماء اليهود والنصارى بذم صناعتهم لتركهم النهي المطلوب منهم واختصت اللفظة بدلالة التدرب والإتقان والتجويد لخصوصية مكانتهم، فكان التوبيخ أشد تأثيرًا عليهم مناسبًا صناعتهم في ترك النهي عن المنكر بإتقان وهو" أغلظ وأشد من توبيخ فاعل المعاصي." (الشوكاني، 1993)

وقد حقق حضور الفعل (**يصنعون**) استحقاق هذا المستوى من التوبيخ الذي يتناسب مع شدة تمكنهم في المعصية،" فكذلك العالم إذا أقدم على المعصية دلَّ على أن مرض القلب في غاية القوة والشدة." (الرازي، 1999).

وتحضر لفظة (**صنعوا**) في سياق آخر مقترنة بالفعل (**حبط**) في مثل قوله تعالى:"مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا **صَنَعُوا** فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16)" (هود، 15- 16).

ويظهر أن سياق الآية في نفر من الناس، يقدمون أعمالا حسنة قد تلفت الأنظار بحقها وإتقانها، لكنها لا تصدر عن عقيدة صادقة أو نية خالصة

(ابن عطية، 2001) فمآلها حينئذ البوار، وقد ينال أصحابها الباحثون عن الشهرة والصيت شيئًا من متاع الدنيا الغَرور، كما هو ظاهر في سياق الآية.

وقريب من هذا قوله تعالى من سورة الكهف " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105)" (الكهف، 103-105) قال ابن كثير: وَإِنَّمَا هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِيهَا، وأَنَّ عَمَلَهُ مَقْبُولٌ، وهُوَ مُخْطِئٌ، وعَمَلُهُ مَرْدُودٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً" الْغَاشِيَةِ 2-4 (ابن كثير، 1999) والملحظ ههنا ما بذله أصحاب صنائع المعروف من دأب ونشاط ونَصَب، وذلك بقرائن التعبير بـ (سعيهم) والفعل المضارع (يحسنون) ولكن هيهات؛ فالكفر أتى بنيانهم من القواعد قال تعالى:"أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا" (الكهف، 106)، ولاحظْنا هنا واو العطف وما فيها من معنى الحال، وحرف الفاء الدالّ على التعقيب والترتيب والسببية المطردة الناجزة؛ (بما كفروا) في السياق ذاته.

وما أجمل وأحكم قوله تعالى كما في سورة طه: "أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)" (طه، 39)، وقوله سبحانه في السياق نفسه "واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي"(41) (طة، 41)

وجملةُ الرأي، لا مندوحة لنا في استبعاد وقوع فروق دلالية دقيقة في أثناء استعمال ألفاظ (**الفعل والعمل والصنع**)؛ فمقتضى السياق يفرض استعمال لفظٍ حصرًا دون إمكانية نزول لفظٍ مقاربٍ له في المعنى مهما حاولنا تقليب ذلك اللفظ أو محاولة إقامته بأيّ صورة من الصور.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف في فضاءات السياق القرآني لألفاظ (**الفعل والعمل والصنع**) خلُصت الدراسة إلى عدد من النتائج:

- تباينت الوظيفة الدلالية في أثناء استعمال ألفاظ (**الفعل والعمل والصنع**) في القرآن الكريم تباينًا واضحًا بفعل السياق الذي وردت فيه كلٌّ منها؛ وبذلك استحالت فرضية وجود ترادف بين تلكم الألفاظ بعد النظر والتمحيص.
- وردت لفظة (**فعل**) وتصريفاتها في القرآن الكريم غالبًا مع العقلاء، وقلّما جاءت مع غير العقلاء، وفي المواضع التي جاءت فيها مع غير العقلاء كان يُنزَّل منزلة العاقل مجازًا.
- سارت دلالة لفظة (**فعل**) وتصريفاتها في دائرتين: الأولى – العموم، بعكس ألفاظ العمل التي تأتي في مواضع الخصوص. والثانية - تأتي في سياق السرعة والقوة؛ لذلك جاءت كلّ المواضع التي كان الفعل صادرًا فيها من الله تعالى في سياق القوة والسرعة في الإحداث، ويكون قويًّا مهلكًا أو محقِّقًا على الوجه الذي أراده الله تعالى.
- توجهت دلالة لفظة (**العمل**) وتصريفاتها نحو مقصد التروي والامتداد الزمني وإعمال الفكر والتدبير، بيْدَ أنه لا يشترط فيه أن ينتهي إلى إتقان، كما يكون مع الصنع الذي يستوجب الاتقان.
- اختصّت لفظة (**الصنع**) وتصريفاتها بالدلالة على الإتقان والإجادة، فهو أعلى مرتبة من العمل.
- إتقان المصنوع (المنتَج) هو ما يميّز الصنع عن العمل؛ إذ التحضير والاستعداد يشتمل عليه العمل.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

الإسكافي، م. (2001). *درة التنزيل وغرة التأويل*. (ط1). تحقيق محمد آيدين. السعودية: جامعة أم القرى.

الأصفهاني، م. (1991). *المفردات في غريب القرآن*، (ط1). تحقيق: صفوان عدنان الداودي، سوريا: دار القلم.

الأندلسي، م. (1999). *البحر المحيط في التفسير*. (ط1). تحقيق صدقي محمد جميل، لبنان: دار الفكر.

البخاري، ع. (1996). *فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق*: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، (ط1)، السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية.

البغوي، ح. (1997). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: محمد عبد الله النمر، (ط4)، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.

البيضاوي، ع. (1997). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، (ط1). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

بيوشل، أ. (2000). *الأسلوبية اللسانية*، ترجمة خالد جمعة، نوافذ.

جبر، م. (1988). *الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية*. (ط1). مصر: دار الدعوة.

جبل، م. (2010). *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. (ط1)، القاهرة: مكتبة الآداب.

الجرجاني، ع. (1984). *التعريفات*. (ط1)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، لبنان: دار الكتاب العربي.

الرازي، م. (1999). *مفاتيح الغيب*. (ط3). لبنان: دار إحياء التراث العربي.
الزركشي، م. (1957). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، لبنان: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
الزمخشري، م. (1997). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (ط1). لبنان: دار إحياء التراث العربي.
الزهرة، ش. (1997). *جذور الأسلوبية: من الزوايا إلى الدوائر(دراسة فيلولوجية)*. (ط1). مصر: مكتبة الآداب.
أبو زيد، ن. (2002). الفعل والعمل في القرآن الكريم، دراسة دلالية، *مؤتة للبحوث والدراسات*، مجلد 17، العدد 6.
السامرائي، ف. (د.ت)، الموسوعة القرآنية، *لمسات بيانية*: https://quranpedia.net/ar/book/1502/1/138، ص764.
شلتاغ، ع. (2003). *أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم*. (ط1). لبنان: دار المحجة البيضاء، ص30.
الشوكاني، م. (1993). *فتح القدير*. (ط1)، سوريا: دار ابن كثير.
ابن عاشور، م. (1997). *التحرير والتنوير*. (ط1). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
العسكري، ح. (1997). *الفروق اللغوية*. (د.ط). تحقيق. محمد إبراهيم سليم، مصر: دار العلم والثقافة.
ابن عطية، ع. (2001) *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط1)، لبنان: دار الكتب *العلمية*.
عنبر، ع. (2009). نظرية التوليد والتحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي، *مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*، مجلد36، عدد2، ص414.
العوتبي، س. (1999). *الإبانة*. تحقيق: عبدالكريم خليفة وآخرون، (ط1)، مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.
ابن فارس، أ. (1997). *مقاييس اللغة*. (ط2). تحقيق: عبد *السلام* محمد هارون. لبنان: دار الجيل.
فارس، ع. (2010). رسالة طاهر بن الحسين إلى ولده عبد الله، دراسة نصية تحليلية، *مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*، مجلد37، عدد1، ص168.
القاسمي، م. (1997). *محاسن التأويل*. (ط1)، تحقيق محمد باسل عيون السود، لبنان: دار الكتب العلمية.
ابن كثير، إ.(1999). *تفسير القرآن العظيم*. (ط2)، *تحقيق* سامي بن محمد سلامة، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
الكفوي، أ. (1998). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*.(د.ط). تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، لبنان: مؤسسة الرسالة.
مصلوح، س. (1992). *الأسلوب*. (ط3). مصر: عالم الكتب.
ابن منظور، ج. (د.ت). *لسان العرب*، (د.ط). لبنان: دار *صادر*.
النسفي، ع. (1998). *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*. (ط1). حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، لبنان: دار الكلم الطيب.
بوهادي، ع. (2013). أثر النحو في تماسك النص، *مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*. المجلد40، عدد1، ص56.
ياسوف، أ. (1999). *جماليات المفردة القرآنية*، (ط2)، سورية: دار المكتبي.

References

Al-Andalusi, M. (1999). *Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir*. (1st ed.). Edited by Sadiq Muhammad Jameel. Lebanon: Dar Al-Fikr.

Al-Asfahani, M. (1991). *Al-Mufradat Fi Gharib Al-Qur'an*, (1st ed.). Edited by Safwan Adnan Al-Daoudi. Syria: Dar Al-Qalam.

Al-Baghawi, H. (1997). *Ma'alim Al-Tanzil Fi Tafsir Al-Qur'an*. Edited by Muhammad Abdullah Al-Namir, (4th ed.), Saudi Arabia: Dar Tayba Lil Nashr Wa Al-Tawzi'.

Al-Baidawi, A. (1997). *Anwar Al-Tanzil Wa Asrar Al-Ta'wil*, (1st ed.). Edited by Muhammad Abdulrahman Al-Mara'shli. Lebanon: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi.

Al-Bukhari, A. (1996). *Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari*. Edited by Mahmoud Bin Sha'ban Bin Abdulmaqsud and others, (1st ed.), Saudi Arabia: Maktabat Al-Ghuraba Al-Athariyyah.

Al-Iskafi, M. (2001). *Durrat Al-Tanzil Wa Ghurrat Al-Ta'wil*. (1st ed.). Edited by Muhammad Aydeen. Saudi Arabia: Umm Al-Qura University.

Al-Jurjani, A. (1984). *Al-T'arifat*. (1st ed.). Edited by Ibrahim Al-Abyari. Lebanon: Dar Al-Kitab Al-'Arabi.

Al-Qur'an Al-Kareem: The Noble Quran.

Al-Razi, M. (1999). *Mafatih Al-Ghaib*. (3rd ed.). Lebanon: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi.

Al-Zamakhshari, M. (1997). *Al-Kashaf 'An Haqa'iq Al-Tanzil Wa 'Uyun Al-Aqawil Fi Wujuh Al-Ta'wil*. (1st ed.). Lebanon: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi.

Al-Zarkashi, M. (1957). *Al-Burhan Fi 'Ulum Al-Qur'an*. Edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (1st ed.), Lebanon: Dar Ihya' Al-Kutub Al-'Arabiyya 'Isa Al-Babi Al-Halabi Wa Shuraka'.

Al-Zuhra, S. (1997). *Juthur Al-Aslubiyah: Min Al-Zawayya Ila Al-Dawair (Dirasah Filulujiah)*. (1st ed.). Egypt: Maktabat Al-Adab.

Biyushl, A. (2000). *Al-Aslubiyah Al-Lughawiyah*. Translated by Khaled Jum'a. Nawafidh.

Bouhadi, A. (2013). Athar Al-Nahw Fi Tamasuk Al-Nass. *Journal of Humanities and Social Sciences Studies*, Vol. 40, No. 1, p. 56.

Jabr, M. (1988). *Al-Aslub Wa Al-Nahw Dirasah Tatbiqiyah*. (1st ed.). Egypt: Dar Al-Da'wah.

Al-Askari, H. (1997). *Linguistic Differences*. Edited by Mohamed Ibrahim Salim, Egypt: Dar Al-Ilm Wal-Thaqafa.

Al-Awtabi, S. (1999). *Al-Ibanah*. Edited by Abdul Karim Khalifa et al. (1st ed.), Muscat: Ministry of National Heritage and Culture.

Al-Kafawi, A. (1998). *Al-Kulliyat: A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences*. Edited by Adnan Darwish and Mohammed Al-Masri, Lebanon: Al-Risala Foundation.

Al-Nasafi, A. (1998). *Tafsir Al-Nasafi (Madarik Al-Tanzil wa Haqaiq Al-Ta'wil).* (1st ed.). Edited and Authenticated by Youssef Ali Badiwi, Lebanon: Dar Al-Kalam Al-Tayyib.

Al-Qasimi, M. (1997). *Mahasin Al-Ta'wil.* (1st ed.), edited by Mohammed Bassel Ayyoun Al-Sawd, Lebanon: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Al-Shawkani, M. (1993). *Fath Al-Qadeer.* (1st ed.), Syria: Dar Ibn Kathir.

Al-Zahra, S. (1997). *Roots of Stylistics: From Angles to Circles (A Philological Study)*. (1st ed.). Egypt: Al-Adab Library.

Anbar, A. (2009). The Theory of Generation and Transformation between Hidden Capacity and Linguistic Performance, *Journal of Humanities and Social Sciences Studies*, Vol.36, No.2, p.414.

Fares, A. (2010). Tahir bin Al-Hussein's Message to his son Abdullah, A Textual Analysis Study, *Journal of Humanities and Social Sciences Studies*, Vol.37, No.1, p.168.

Abu Zaid, N. (2002). Alfi'il and Al'amal in the Noble Qur'an, a semantic study, *Mu'ta Research and Studies*, Volume 17, Number 6.

Ibn Ashur, M. (1997). *Al-Tahrir wa Al-Tanwir.* (1st ed.). Tunisia: Dar Sahoun for Publishing and Distribution.

Ibn Atiya, A. (2001). *Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Azez*. Edited by Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad. (1st ed.), Lebanon: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Ibn Faris, A. (1997). *Measures of Language*. Edited by Abdul Salam Mohammed Haroun. (2nd ed.), Lebanon: Dar Al-Jil.

Ibn Kathir, I. (1999). *Tafsir Al-Quran Al-Azim.* (2nd ed.), edited by Sami bin Mohammed Salama, Saudi Arabia: Dar Tayyibah for Publishing and Distribution.

Ibn Manzur, J. (n.d.). *Lisan Al-Arab*. Edited by Lebanon: Dar Sader.

Jabal, M. (2010). *The etymological dictionary of the words of the Noble Qur'an*. (1st edition), Cairo: Library of Arts.

Maslouh, S. (1992). *Al-Usloob*. (3rd ed.), Egypt: Alam Al-Kitab.

Shaltagh, A. (2003). *Secrets of Stylistic Similarity in the Holy Quran*. (1st ed.). Lebanon: Dar Al-Mahaja Al-Bayda, p.30.

Samurai, F. (D.T), *The Quranic Encyclopedia, Diagrammatic Touches*: https://quranpedia.net/ar/book/1502/1/138, p. 764.

Yasuf, A. (1999). *Aesthetics of the Quranic Word*. (2nd ed.), Syria: Dar Al-Maktabi